النَظم التعليمي - نشأته ورائده الحقيقي في الأدب العربي

Educational systems - its origins and its true pioneer in Arabic literature

الأستاذ الدكتور هادي عبد النبي محمد التميمي
عميد كلية العلوم الإسلامية ، الجامعة الإسلامية – النجف الأشرف ، العراق
haady.altememy@iunajaf.edu.iq
الدكتور جواد غلامعلى زاده
أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة سيستان وبلوتشستان ، إيران
j.gholamalizadeh@lihu.usb.ac.ir

الملخص :

يُعَدُّ النظم التعليمي من الفنون الأدبية التي لها أثر عظيم الفائدة و شديد الدلالة على الحال العلمية للعصور المختلفة ، ويحمل في أعجازه حضارة وثقافة عظيمة عالية الأهمية للثقافة وأدب الأمة العربية خاصة والإسلامية عموماً ، ونستطيع أن نصل الى حقيقة مهمة من خلال البحوث التي بذل باحثوها جهوداً حثيثة ليصلوا الى نتيجة مفادها أن هناك الكثير من الخلافات التي تم رصدها عند النقاد حول نشأة هذا اللون الشعري ، أنواعه ورائده ويرجع ذلك إلى تسميته قبل كل شيء ، وإذا علمنا أن النظم التعليمي يختلف عن الشعر التعليمي تماما ، فنستطيع الجزم بأن الشاعر أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي اللاحقي (ت 200 هـ) ، هو الذي ابتكر هذا الفن في الأدب العربي ، فضلاً عن أننا نستطيع القول بأن لانشأة و لاجذور لهذا الفن الأدبي في العصور المتقدمة قبل العصر العباسي ، وسوف نسعى في هذه المقالة للرد على جوانب هامة من المقالات التي نُشرت في هذا المضمار من قبل و أخيرا نستعين بالله على أن يهدينا إلى سواء السبيل .

الكلمات الرئيسية : النظم التعليمي ، الشعر التعليمي ، نشأة النظم التعليمي ، رائد النظم التعليمي .

Dr. Hadi Abd al-Nabi Muhammad al-Tamimi
Professor , Dean of the College of Islamic Sciences , The Islamic University –Al-Najaf Al-Ashraf , Iraq
Dr. Javad Ghalamalizadeh
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , University of Sistan and Belotecan , Iran

Abstract

The educational system is one of the literary arts that has a great impact and it is highly indicative of the scientific situation of the different eras. To reach the conclusion that there are a lot of disagreements that have been monitored by critics about the origin of this poetic color, its types and pioneers, and this is due to its name above all, and if we know that the educational systems are completely different from the scholarly poetry, we can assert that the poet Aban bin Abdul Hamid Al-Laqi, He is the one who created this canon in Arabic literature, in addition to that we can say that there is no origin or root for this literary art in the resentful ages before the Abbasid era, and we will seek in this article to respond to important aspects of the articles that were published in this regard before, and finally we seek Allah help to guide us for the straight path .

Key words : educational systems , educational poetry , the emergence of educational systems , the pioneer of educational systems .

المقدمة :

إن الشعر يُعَدُّ من الظواهر المشتركة التي تتشارك فيه جميع الشعوب فهو لايرتبط بحضارة ولاثقافة معينة يختص بها ، فإننا إن محصنا في الروايات المتقدمة نهتدي الى حقيقة مهمة تتمثل في أن للشعوب البدائية شعر يختص بها أيضاً ، وعلى ذلك يمكننا القول أن الشعر قد اختار لنفسه منذ الأزل سبيلاً ينأى به عن روح العلم وأوشك أن يكون حديثاً خاصاً لإذاعة ما تضج به الخواطر من العواطف والمشاعر وعلى هذا الأساس تكوّن الذوق العام ، فوضع كل ما هو شعري مقابل العلمي حتى باتت طبيعة الشعر تتحدد بذاتية المبدع ، وأضحت علامة فارقة تميزه عن غيره ، و يبدو أن هذه الصفة لازمت الشعر منذ مراحل تكوينه الأولى وهو أمر يصدق على حال الشعر العربي أيضاً ، ومع تقادم الأزمنة حدث نوع من التقارب بين الشعر والعلم فى حياة الأمة الإسلامية ولوحظ بروز هذا التقارب بقوة كلما آلت تلك الحياة إلى التطور باتجاه العلم ، ولكن إذا دققنا النظر فإننا سنلاحظ إلى جانب هذا التقارب تباعداً عميقا بين الشعر بمفهومه الخاص وهذا الذي نسميه خطأً ولايزال بـ(الشعر التعليمي) ، وقد تعددت الآراء بين الأدباء في مختلف جوانب هذا الفن بسبب هذا الخطأ ، فعلى سبيل المثال بالنسبة إلى نشأته ، ذهب عدد من النقاد إلى أن العرب لم يعرفوا هذا اللون من الأدب إلا فى وقت متأخر نتيجة لإتصالهم بالفكر الوافد ، فهناك من يرى أن هذا التأثير ناشىء عن الثقافة

الهندية التى إتصل بها العرب فى العصر العباسى ، و من هولاء الأستاذ أحمد أمين (أمين ، بلاتا ، ج1: 246) ، والى ذلك ذهب الدكتور أحمد فوزى الهيب أيضا ، (الهيب ، 1986 : 349) ، وانضم الدكتور مصطفى هدارة الى هذا الرأي أيضاً ؛ (هدارة ، بلاتا : 355) ، فيما يرى آخرون أن ذلك من مكتسباتونتاج لثقافة اليونانية (الجواري ، 1991 : 250) ، فيما ذهب شوقي ضيف إلى أن الشعر التعليمى ذو نشأة عربية خالصة بدأت بوادره فى أواخر القرن الأول الهجرى وبداية القرن الثانى الهجري ، (ضيف ، بلاتا : 319) ، ويرى الدكتور صالح آدم بيلو : أن الأدب العربى منذ جاهليته قد شارك فى هذا اللون من الفن (بيلو ، 2002 : 2) ، ولم يقتصر الإختلاف على النشأة حسب بل تعداه ليشمل معرفة هوية رائد هذا الفن أيضا ، ومن هذا المنطلق نحاول في هذا المقال أن نجيب على ثلاثة أسئلة محورية وأساسية وهي كما يأتي :

1.ما الفرق بين النظم التعليمي و الشعر التعليمي ؟
2.متى نشأ هذا الفن التعليمي؟
3.من هو رائده الحقيقي في الأدب العربي ؟

وستكون الإجابة عن تلك الأسئلة من خلال المحاورالآتية :

أولا - النظم التعليمي أو الشعر التعليمي ؟

ثانيا - أنواع الشعر التعليمي والنظم التعليمي .

ثالثا - القيمة الفنية للنظم التعليمي .

رابعا - نشأة النظم التعليمي .

خامسا - الرائد الحقيقي للنظم التعليمي في الأدب العربي .

سادسا - حصيلة البحث .

أولاً - النظم التعليمي أو الشعر التعليمي ؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد أن نلقي الضوء قبل كل شيء على الفرق بين النظم و الشعر ، إذ اتفق كثير من الأدباء في هذا المجال أن السمة البارزة للشعر هي وجود الخيال والعاطفة فيه فضلاً عن وزنه و قافيته ، وإذا كان الكلام خاليا منهما فليس بشعر ، بل هو نظم تُركب فيه الكلمات وتنسق وفق وزن عروضي بحت .

يقول التونجي في تعريف النظم : هو (تأليف الكلمات والجمل مع ترتيب المعاني ، وتناسب الدلالات ، وفي الشعر: هو التأليف الشعري بحيث تركب الكلمات ، وتنسّق وفق وزن شعري محدد هو العروض ، يتبع فيه مؤلفه نسقا دقيقا وقواعد محدّدة : من ترتيب الكلمات ، ومراعات التفعيلات ، وتحديد القافية والروي . بحيث إذا قُرئ عُرف أنه موزون ، وأن معناه سليم واضح) ، (التونجي ، 1419، ج2 : 862) ويضيف التونجي في تعريف الشعر فيقول أنه : (كلام موزون قصدا بوزن عربي معروف ... ولايكفي أن يكون الشعر موزون الكلام بل يجب أن يضمَّ معنى متميزا عن معنى العامة ، موافقا الذوق العام) ، (المصدر نفسه : 550) .

ويحدد لنا حنا الفاخوري الإطار العام للشعر قائلا : إن الشعر(كلام منظوم يعتمد في لفظه على الوزن والقافية وفي معانيه على الخيال والعاطفة) ، (الفاخوري ، 1377 : 37) ، فيما يرى الدكتور عبد العزيز عتيق : أن الشعر إذا قلنا إنه كلام موزون مقفى ومنبعث عن عاطفة ومثير لعاطفة ، كان تعريفا أقرب إلى الصواب ، (عتيق ، 1972 : 166) ، وعلى نفس المنوال يقول عمر فروخ وهو يفرق بين النظم والشعر : (أما النظم فهو الكلام الموزون المقفى . فإذا امتاز النظم بجودة المعانى وتخير الألفاظ ودقة التعبير ومتانة السبك وحسن الخيال مع التأثير فى النفس فهو الشعر. لأن الشعر حقيقته ما خلب العقل واستولى على العاطفة واستهوى النفس . من أجل ذلك قال عرب الجاهلية عن القرآن إنه شعر وعن رسول الله إنه شاعر. والعرب الجاهليون لم يقصدوا أن القرآن كلام موزون مقفى ، بل نظروا إلى شدّة أثره فى النفس فقالوا عنه ما قالوا) ، (فروخ ، 1984 ، ج1 : 44-45).

بناءا على هذا الفرق لايمكننا أن نسمّي كل نظمٍ شعراً ؛ إذ لانرى في كثير من الأحيان المميزات التي ذكرت في تعريف الشعر، في كل كلام منظوم ولذلك لانرى وجها في تسمية المنظومات التعليمية باسم الشعر التعليمي . وإذا سمينا أو استفدنا بدل النظم التعليمي ، الشعر التعليمي فهذا خطأ يوقعنا في مهالك نقدية وعلمية تتخالف مع روح المنطق وسنذكر منها فيما يلي أنواع هذا الفن التعليمي شعرا إذا سميناه أو نثرا!

ثانياً ـ أنواع الشعر التعليمي والنظم التعليمي

إن كان قصدنا من الفن التعليمي ، هو الأشعار التعليمية ؛ فهى في الحقيقة تلك الأشعار التي تهدف إلى تعليم الناس وتشمل المضامين الأخلاقية أو العلمية أو الفلسفية أو التعليمية بصورة عامة ، وبعبارة أخرى فإن هذا اللون من الفن التعليمي يهدف الشعراء من خلاله إلى تعليم الناس ، الأخلاق تارة والعقيدة والعبادة ، والفضيلة والرذيلة ، وما ينبغى للإنسان أن يكون عليه ، وما يجب أن يتحاشاه ويتباعد عنه تارة أخرى ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك فقالوا أن الشعراء يهدفون به التاريخ والسير ، فيقررون ويبينون الأنساب والأصول والفروع ، وتسلسل

الحوادث وترتيبها ، ويبحثون العلل والأسباب ، ويربطون النتائج بمقدماتها ؛ ويذهبون تارة الى عرض العلوم والفنون والصناعات ، فيقررون الحقائق المتعلقة بشأنها ، ويضعون لها القواعد ويستنبطون لها القوانين .

وعلى هذا الأساس يقسم د . صالح آدم بيلو أنواع الشعر التعليمي إلى ثلاثة أقسام قائلا : إن (الميادين التى يعمل فيها هذا اللون من الأدب ، أو الشعر الذى نسميه (تعليمياً) ثلاثة ميادين :

1. أصول الأخلاق والعقائد .
2. السير والتاريخ .
3. الحقائق والمعارف المتعلقة بالعلوم والفنون والصناعات)

(بيلو ، 2002 : 1)

إن هذا التعريف - كما شاهدنا - عام واسع تدخل تحته حتى الأشعار الغنائية ، والملحمية ، والتمثيلية ، ذلك لأننا لانرى هذه الأنواع الشعرية خالية من المسائل التعليمية. فعلى سبيل المثال نشاهد في مجموعة ملحمية مثل (شاهنامة الفردوسي) أنها تحتوي على إرهاصات من التعليم ، بل إنها مليئة بالنصائح والمواعظ (رزمجو، 1374: 79) ، أما الغربيون فيقدمون لنا الفردوس المفقود والكوميديا الإلهية لدانتي كجزء من الآثار الملحمية والتعليمية أيضا ، وجاءت الأشعار الصوفية في الأدب الفارسي لتقدم لنا مواضيع غنائية وتعليمية إذ تُعلّم التصوف (فرشيد ورد ، 1363، ج1: 93) ، أما إذا قصدنا من هذا الفن التعليمي ، المنظومات التعليمية ، والأراجيز والقصائد التاريخية أو العلمية التي جاءت في حكم الكتب أو تلك الكتب التي نظموها فجاءت في حكم الأراجيز والقصائد وهو ما يعبر عنه المتأخرون بالمتون المنظومة كألفية الإمام محمد بن مالك (ت 672 هـ) في النحو العربي وغيرها مما يجمع قضايا العلوم والفنون وضوابطها ، (عتيق ، 1976: 329) ، فلايمكن والحالة هذه تقسيمه حينئذ إلى أقسام لأنها تعرض بالمجمل لعلم خاص كالتاريخ والفقه والنحو والنجوم و ... أو قل للعلوم والفنون والصناعات تماما وكلها خارجة عن صفة الشعر الذي له حلاوة وطلاوة وروعة وجمال ، بل نشاهد فيها الجفاف والأسفاف والبعد عن الخصائص الشعرية المعهودة وقد أُنشأت وأنشدت تيسيراً لحفظ العلوم وسهولة لتمثلها واسترجاعها فضلا عن السعي لصونها من الخطأ والتحريف ، (الجواري ، 2006 : 281-282) .

ثالثاً - القيمة الفنية للنظم التعليمي

مهما قلنا في القيمة الفنية للنظم التعليمي ، فإننا لانريد أن نجرده من كل فضيلة ؛ كما لانستطيع أن ننكر ما أداه النظم التعليمي من حفظ كثير من التراث الديني واللغوي والعلمي في سياق

ثقافات الأمم المختلفة ، إلا أننا وفي مجال نقده من حيث البنية الفنية ، يمكننا القول أن : الدكتور شميسا يدافع عن الأدب التعليمي ويقول : أما الأدب التعليمي فيمكن أن يكون خيالياً يعنى أن يأتى بالشئ الذى يريد تعليمه بصورة قصة أو مسرحية حتى يكسب جاذبية أكثر ويستفاد من هذا المنهج خصوصا في أدب الأطفال ، ولنلتفت أن اطلاق الأدب التعليمي على أثر لايحط من شأن ذلك الأثر أبدا . إذ أن لكثير من البدائع الأدبية جانباً تعليمياً ومنها المثنوي لمولوي والبوستان لسعدي والحديقة للسنائي وهي كلها تتماشى فيها الجوانب الأدبية مع الجوانب التعليمية قوة ونشاطاً كما يقول في مكان آخر: إن كون الأثر أدبيا كلام غير دقيق لأن العناصر الأدبية في بعض الآثار قليلة و في بعض الآثار كثيرة (غلامعلي زاده و روشنفكر، 1428: 58) ، وقد تمت الإشارة الى أن بعض ألوان الشعر التعليمي خارج عن صفة الشعر وهو القسم الذي أسموه (حقائق الفنون والعلوم والمعارف) على حين لايكون الأمر كذلك – دائما - في الأقسام الأخرى من الشعر التعليمي ، وبخاصة النوع الذي يتناول التاريخ وأحداثه ، إذ قد يتحول عند الشاعر المبدع و الفنان البارع الموهوب إلى شعر قصصي آسر للقلوب كالذي نراه في الأرجوزة التاريخية لابن المعتز (ت 247 هـ) الحاكم والشاعر العباسي (غلامعلي زاده و روشنفكر، 1389: 87) ولايبدو هذا الكلام صائباً بعد أن أثبتنا أن مصطلح الشعر التعليمي مصطلح غير صحيح للمنظومات التعليمية ؛ على الرغم من أننا لاننكر في هذا المجال ما للأدب التعليمي - بمفهومه الواسع - من قيمة فنية ؛ بل الذي ننكره القيمة الفنية للنظم التعليمي ونعني بذلك القسم الذي أسموه (حقائق الفنون والعلوم والمعارف) فهو من الناحية الفنية ليس على شيء ، وليس هو بأكثر من كلام موزون مقفّى، خال من الحلاوه الشعرية والروعة الفنية ؛ ذلك لأنه لايوجد فيه مقومات الشعر كالعواطف والتجارب الشعورية . يقول الدكتور عبد العزيز عتيق : (وهذا اللون من الشعر أبعد ما يكون عن الشعر بمعناه الخاص ، أي الشعر الفني الذي يغلب عليه عنصرا الخيال و العاطفة ، و يهدف إلى الإمتاع والتأثير في النفوس . والشعر التعليمي لا يلتقي مع الشعر الفني إلا في صفه النظم فقط) ، (عتيق ، 1976: 329) .

وفي ذات المجال يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة : (فهو في نظرنا ليس فنّاً مؤثراً ولا شعراً خالداً وليس له من الشعر إلا اسمه) ، (هدارة ، بلاتا : 367) ، ومن الجدير بالذكر أن هذا الإتجاه يلقى رواجا بين الغربيين أيضا ؛ فالبعض منهم لايُدخلون الشعر التعليمي في دائرة أنواع الشعر ومنهم الشاعر الألماني (جوته) الذي ُقسم الشعر إلى ثلاثة أنواع هي :

- الشعر الملحمي
- الشعر الغنائي
- الشعر الدرامي

(فرشيد ورد ، 1363، ج1: 94)

وذهب الى ذات المنحى الفيلسوف الإنجليزي (توماس هابز) ؛ الذي تهجم على الشعر التعليمي وأخرجه من دائرة الشعر أساساً ، وقد ُنسب الذين يطلقون على هذا الكلام اسم الشعر إلى الخطأ ، (زرين كوب ، 1369 ، ج2 : 447).

رابعاً – نشأة النظم التعليمي

إن النتائج الحاصلة في الدراسات السابقة أرجعتنا فيما يخص نشأة الشعر التعليمي إلى العهد الجاهلي والتي أكدت على أن الشعر التعليمي ذو نشأة عربية خالصة بمختلف ألوانها ، (غلامعلي زاده و روشنفكر ، 1390: 109) ، ولكن للحقيقة نقول أن النظم التعليمي يختلف كلياً عن الشعر التعليمي وعلى نفس المنوال فأن الشعر القصصي هو شعر اجتماعي تتراءى فيه حياة الجماعات وهو يدل على تيقّظ الجماعات و تنبهها للحياة و لايظهر عادة إلا في طفولة الشعوب ، والشعر الغنائي يدل على تطور الحضارة واتساع سبل الحياة ، إذ يتاح للفرد أن ينكفئ على ذاته ويتنبه لشخصيته فهو خطوة الفرد نحو الشخصية ؛ وكذلك فإن الشعر التمثيلي يدل على تطور قوى الحضارة وعلى تقدم الإنسان تقدماً جاداً وواسعا في سبل الحرية الفردية والاجتماعية ، أما الشعر التعليمي الذي نحن بصدده يدل على إقبال الأفراد والجماعات على العلم والتحصيل (الفاخورى ، 1377: 39) ؛ الأمر الذي نشاهده معالمه بوضوح في العصر العباسي بسبب اتساع الآداب والعلوم ، وحاجة المتعلمين إلى الإلمام من كل فن بطرف (آذرشب ، 1382: 79) ، ولانواجه بالطبع خلافا وكثرة آراء وتشويشها عند الأدباء في نشأة النظم التعليمي كما ذكرناها آنفا في نشأة الشعر التعليمي (غلامعلي زاده و روشنفكر، 1428: 52-54) ، بل نذهب إلى أن العرب عرفوا هذا اللون من الأدب فى وقت متأخر من العصر العباسي بسبب اتساع الآداب والعلوم وحاجة المتعلمين إلى الإلمام من كل فن بطرف ، إذ لم يكن لديهم من قبل ، خاصة قبل الاسلام هذا الاتساع والتفوق العلمي كما هو معهود ، وعلى مايبدو لنا متساوقين مع مايعتقد به الدكتور عبد الستار الجواري : على أن هذا الفن التعليمي كان (مرحلة من مراحل التطور في شعر الأخلاق والحكمة ، إذ أن هذا الشعر يكون في أول أمره نصحا وإرشادا ومواعظ تقوم على أساس من التجارب الإنسانية العامة ، حتى إذا بلغ الشعراء من العلم والمعرفة مبلغاً حسناً أغراهم ذلك بأن يستخدموا معارفهم الجديدة في هذا الطراز من الشعر حبا بالتجديد وتدليلا على مشاركتهم في الحياة العقلية) ، (الجواري ، 2006: 279) .

ولاغرو أننا نشاهد هذا البلوغ العلمي لأول مرة بعد اتصال العرب بالفكر الوافد والتأثير الناشىء عن الثقافات المتعددة التى اتصل بها العرب فى العصر العباسى ، كما زعم كثيرٌ من الأدباء و منهم الدكتور هدارة حينما يعلل ذلك بالتأثير الواضح للثقافتين اليونانية والهندية قائلا : (فأى الثقافة اليونانية أم الهندية ؟ بل كلتا الثقافتين قد اتصلت بالفكر العربى اتصالاً وثيقاً كما بينا من قبل ولكن اتصال العرب بالأدب الهندى كان أوثق بكثير من اتصالهم بالأدب

اليونانى ، لأن أدب الهنود أقرب إلى الطبيعة العربية بما فيه من أساطير وأسمار وحكايات . ثم إن علوم الهند التى كانت متقدمة فيها أو تنفرد بها ، مثل الفلك والحساب وغيرهما ، كانت سبباً فى توثيق العلاقة بين الثقافتين العربية والهندية أيضاً ، فضلاً عن تأثير الشعراء المولدين الذين هم من أصل هندى وتأثير عملية المزج بين الجنسين على وجه العموم ، وما يترتب عليها من آثار مختلفة . نحن نميل إذن إلى إقرار هذا التأثير الهندى فى نشاة الفن التعليمى فى الشعر العربى ، إذا كان لابد من وجود تأثير أجنبى ، وإذا لم يكن الشعر التعليمى قد نشأ نشآة طبيعية بانتشار حركة التعليم وإحساس المعلمين والمتعلمين على السواء بحاجتهم إلى نوع من التأليف (المدرسي) يسهل نقل المعلومات وحفظها ، فلم يجدوا غير الإستعانة بالشعر ليكون وسيلة مشوقة وسهلة فى الوقت نفسه خاصة بالنسبة للعقلية العربية المشهورة بقدرتها على حفظ الشعر وروايته) ، (هدارة ، بلاتا : 355-356) .

إلا أن هذا التعليل لا صحة له بالنسبة إلى الواقع التاريخي ، ذلك أن جُلَّ ما دخل في الأدب العربي من الهند أو اليونان كان على أيدي المفكرين الفرس المستعربين ، (شريفي ، 1389 : 5-6) من أمثال أبو محمد عبد الله بن المقفع (ت 142 هـ) ، وأبان بن عبد الحميد بن عفير الرقاشي اللاحقي (ت 200 هـ) في ترجمة ونظم قصص (بيدبا) الهندية التي ترجمت إلى الفارسية مع تغييرات لاحقة ، ويؤيد ماذهبنا إليه ما ذكره ابن النديم في كتابه الفهرست (ابن النديم ، بلاتا: 364) ، من أسماء كتب الهند في الخرافات والأسمار والأحاديث الهندية المترجمة إلى العربية .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الكتب ترجمت الى اللغة العربية عن التراجم الفارسية لتلك الكتب ، و لم تترجم من الهندية بصورة مباشرة ، كما هو الحال في أكثر التراجم العربية للكتب الفلسفية اليونانية وغيرها مما كانت قد تم ترجمتها الى اللغة الفارسية بواسطة أساتذة جامعة جنديسابور في العصر الساساني الأخير (الطهراني ، بلاتا ، ج8: 31) . ونذكر هنا بعض ما ذكره ابن النديم على سبيل المثال لاالحصر بعضاً من أسماء كتب الهند في الخرافات والأسمار:

- كليلة ودمنة .
- السندباد الكبير والصغير.
- البد ، وعلى مانعتقد أنه في تعاليم بودا
- بوذاسف وبلوهر ، وهو أيضا من تعاليم بودا .

(ابن النديم ، بلاتا : 364)

خامساً – الرائد الحقيقي للنظم التعليمي في الأدب العربي

بعد أن سعينا الى إثبات أن النظم التعليمي دلالة جادة على اتساع الآداب والعلوم في العصر العباسي ، وقد نشأ بسبب دافع قوي من ناحية الشعراء للتعبير عن قدرة تحويل النصوص المنثورة إلى منظومة مع المحافظة على معنى النص مع إدخال الإيقاع الذي ترتاح إليه النفس فيها ، فضلا عن السعي لتشجع المتلقي على المتابعة من دون ملل ، (آذرشب ، 1382 : 79)، وقد انتشر هذا النوع من النظم لأول مرة في هذا العصر وليس في العهود السابقة كما أشار إلى ذلك الدكتور شوقي ضيف في كتابه العصر العباسى الأول قائلا : إنه (فن استحدثه الشعراء العباسيون ، ولم تكن له أصول قديمة ، ونقصد فن الشعر التعليمى الذى دفع إليه رقى الحياة العقلية فى العصر ، فإذا نفرٌ من الشعراء ينظمون بعض القصص أو بعض المعارف أو بعض السير والأخبار) ، (ضيف ، بلاتا ، ج3 : 190) ، وعلى ذلك يمكننا القول بأن أن الفضل في ريادة النظم التعليمي يرجع إلى وأبان بن عبد الحميد بن عفير الرقاشي اللاحقي (ت 200 هـ)، هذا الرجل الذي عاش في البصرة في العصر العباسي ، واستفاد من معرفته باللغة الفارسية فاختص من بين الجماعة بنقل الكتب المنثورة إلى الشعر المزدوج ، ومن أهم ما نقله ، كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب سيرة أردشير ، وكتاب سيرة أنوشروان ، وكتاب بلوهر وبرداسف ، كتاب رسائل وكتاب حلم الهند (ابن النديم ، بلا تا : 132) ، وقد ذهب الى هذا المنحى طه حسين الذي أكد على أن أبان هو مبتكر هذا الفن فى الأدب العربى ، قائلا : (يظهر أن أبان هو أول من عنى بهذا الفن) ، (حسين ، 1969 : 286) و يقول عنه فى موضع آخر : (فهو إمام طائفة عظيمة الخطر من الناظمين نعنى أنه ابتكر فى الأدب العربى فناً لم يتعاطه أحد من قبله ، وهو فن الشعر التعليمى) ، (حسين ، 1980: 540) ، ولايبدو كلام طه حسين مجانباً للصواب حينما نجد أن قاطبة من أشعار أبان اللاحقي هي أراجيز مزدوجة في أحكام الفقه ، وفي تاريخ الفرس القديم ، وفي علم المنطق ، ونشأة الخلق ، (آذرشب ، 1382 : 80) ، فضلاً عن موضوع هو في غاية الأهمية يتمثل في أن أبان ترعرع في أسرة يشتهر جميعها بنظم الشعر مثل : جده لاحق ، وأباه عبد الحميد وأخيه عبدالله وابنه حمدان وحفيده أبان ، (ابن النديم ، بلا تا : 132 ؛ آذرنوش ، بلاتا ، ج 2: 48) ، بل أن البعض من عائلته مثل ابنه حمدان وحفيده أبان ، يشتهران بالمزدوجات الطويلة في فنون من العلم (آذرشب ، 1382: 80) .

سادساً ـ حصيلة البحث

نستنتج من كل ما تقدم الآتي :

1. أن الشعر التعليمي مصطلح غير دقيق ويتناقض مع المنظومات التعليمية في كثير من الأحيان ومن المستحسن أن نستخدم عوضاً عنه مصطلح (النظم التعليمي) .

2. إن هذا الفن نشأ وابتدأ بالظهور في الأدب العربي لأول مرة في القرن الثاني الهجري على عهد العباسيين نتيجة لاتساع حركة الآداب والعلوم والفنون واحتياج المتعلمين إلى الإلمام بطرفٍ من كل فن وحفظ ذلك وصونه من الخطأ .
3. أن هذا الفن لاجذور له في العهد الجاهلي كما حاول البعض أن يوصل جذوره بالأدب في ذلك العصر .
4. أن الفضل في ريادة النظم التعليمي يرجع إلى أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي اللاحقي (ت 200 هـ) ، الشاعر الذي عاش في البصرة في العصر العباسي ، وأفاد من معرفته باللغة الفارسية فاختص أولاً بنقل الكتب المنثورة إلى الشعر المزدوج لكتب مهمة مثل : كتاب كليلة و دمنة ، كتاب سيرة أردشير ، كتاب سيرة أنوشروان ، كتاب بلوهر و برداسف و ... و قد أكد عميد الأدب العربي طه حسين إلى تأكيد تلك الريادة إذ قال : أن أبان هو مبتكر هذا الفن فى الأدب العربى .

قائمة المصادر والمراجع

1. آذرشب ، محمد علي ، الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي ، الطبعة الأولى ، طهران ، منظمة سمت ، 1382 هـ.ش .
2. آذرنوش ، آذرتاش ، دائرة المعارف الاسلامية الكبرى ، تهران ، مركز دائرة المعارف بزرك اسلامى ، ج8 ، بلاتاريخ .
3. أمين ، أحمد، ضحى الإسلام ، ج1، الطبعة العاشرة ، بيروت ، دارالكتاب العربي ، بلا تاريخ .
4. بيلو ، صالح آدم ، 2002م ، حول الشعر التعليمي :

www.iu.edu.sa/magazine/52/20.doc

5. التونجي ، محمد، المعجم المفصل في الأدب ، ج 2 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1419هـ.ق .
6. الجواري ، أحمد عبد الستار، الشعر في بغداد ، المجمع العلمي العراقي ،1991م ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 2006م .
7. حسين ، طه ، المجموعة الكاملة،ج2،الطبعة الثانية، بيروت ، دارالكتاب اللبناني ، 1980 م .
8. حسين ، طه ، من حديث الشعر و النثر، القاهرة ، دارالمعارف ، 1969م
9. رزمجو ، حسين، انواع ادبي وآثار آن در زبان فارسي ، چاپ سوم ، مشهد، انتشارات آستان قدس رضوى، 1374هـ.ش

10. زرين كوب ، عبد الحسين ؛ نقد ادبى ، ج2، الطبعة الرابعة ، تهران، مؤسسه انتشارات امير كبير، 1369هـ.ش.
11. شريفي ، حميد ، نگرشي نو به پيدايش نظم تعليمي در ادبيات عرب «عصر عباسي» مجله مطالعات نقد ادبى ، 1389، شماره 21، صص183-203
12. شميسا، سيروس ؛ انواع ادبي ، چاپ نهم، تهران، انتشارات فردوس،1381هـ.ش.
13. ضيف ، شوقي ، التطور و التجديد في الشعر الأموى ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ، دارالمعارف ، بلا تاريخ .
14. ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، ج3 ، العصر العباسي الأول ، الطبعةالسادسة عشرة ، القاهرة ، دارالمعارف ، بلاتاريخ .
15. الطهرانى ، آقا بزرگ ، الذريعة ، الطبعة الثالثة ، ج8 ، بيروت ، دار الأضواء ، بلا تاريخ .
16. عتيق ، عبد العزيز ، الأدب العربي في الأندلس ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1976م
17. عتيق ، عبد العزيز ، في النقد الأدبي، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1972م
18. غلامعلي زاده، جواد ؛ روشنفكر، كبرى ، الشعر التعليمي ؛ تاريخه وتطوره في الأدب العربي ، مجلة بحوث في اللغة العربية و آدابها ، 1389، العدد3، صص 85-97
19. غلامعلي زاده ، جواد ؛ روشنفكر، كبرى ، الشعر التعليمي ؛ خصائصه ونشأته في الأدب العربي ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد14، صص47-62
20. غلامعلي زاده ، جواد ؛ روشنفكر، كبرى ، تأملي در شعر تعليمي ، مجله تاريخ ادبيات ، 1391 ، شماره3 ، صص 105-118
21. الفاخوري ، حنا ، تاريخ ادبيات عربي ، چاپ اول، تهران، انتشارات توس، 1377هـ.ش
22. فرشيد ورد ، خسرو ؛ درباره ادبيات و نقد ادبي ، ج1، چاپ اول ، تهران ، مؤسسه انتشارات امير كبير، 1363هـ.ش .
23. فروخ ، عمر، تاريخ الأدب العربي ، ج 1، الطبعة الخامسة ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1984م .
24. ابن نديم ، محمد بن اسحق ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، بلا تاريخ .
25. هدّارة ، محمد مصطفى ، إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دارالمعارف ، بلا تاريخ .
26. الهيب ، أحمد فوزي ، الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء ، الطبعة الأولى ، بيروت ، موسسة الرسالة ، 1986م .